Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى حالة أخرى يتخصص الغرض أكثر من ذلك فيكون اختبارا لمقدار تنبه السامع ومبلغ ذكائه عند قيام قرينة خفية على المسند إليه ، أيتنبه إليه بالقرائن الخفية أم لا ؟ مثال ذلك : أن يحضرك شخصان تجمعك بهما صداقة – غير أن أحدهما أقدم صحبة من الآخر ، فتقول لآخر يعلم بهذه الصلة : « جدير بالوفاء » تريد أقدمهما صحبة ، وهو « محمد » ، فتحذفه اختبارا لمبلغ تنبه السامع ، أيتنبه إلى هذا المحذوف لهذه القرينة الخفية ، وهى أن أهل الوفاء ذو الصداقة القديمة أم لا يتنبه(٤٩) . ولا نتصور أن يبتعد البحث البلاغى عن استشفاف دلالات التراكيب اللغوية الحقيقية ليصبح فرضا لأغراض ذهنية ، ووضعا للأمثلة على مقاساتها !!

وقد بلغت بعض الأغراض من برودة التعليل العقلى وجفافه حدا يحمل القارىء إلى العزوف عنها ، وبخاصة أنه لا يكتشف دلالة مّا وراءها . وذلك قولهم « إيهايم العدول إلى أقوى الدليلين وهو الدليل العقلى دون اللفظى ، فإن الاعتماد عند الذكر على دلالة اللفظ ، وعند الحذف على دلالة العقل وهى أقوى ، وإنما قيل « لإيهام » لأن الدال فى الحقيقة عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرينة ويحتمله وهم يمثلون لهذا الغرض بمثال يتيم استشهدوا به فى غرض آخر وذلك قول الشاعر :

قال لى كيف أنت قلت عليل(٥٠)

والمسند إليه المحذوف والموصوف بالغرض السابق هو ضمير المتكلم « أنا » أى أنا عليل .

وحرصا من البلاغيين على استقصاء كافة صور الحذف للمسند إليه نراهم يعدون « اتباع الاستعمال الوارد عن العرب » غرضا بلاغيا يقتضى حذف المسند إليه كقولهم فى المثل : « رمية من غير رام » أى هذه رمية . وقولهم : « قضية ولا أبا حسن لها » أى « هى قضية » وقولهم « شنشنة أعرفها من أخزم » . ولسنا ندرى كنة هذا الغرض فى الواقع ، فنطق المثل بهذا الشكل جريان على الأصل وما جاء على الأصل لا يسأل عن علته .

---

(٤٩) انظر حامد عونى ، مذكرة البلاغة ، دار الكتاب العربى الطبعة الثانية ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٦ م ص ٦٦ .

(٥٠) انظر علوم البلاغة ص ٩٥ .